أُسس بناء المنهج الدِّراسي وتطبيقاتهامن منظور القرآن الكريم

د.عثمان محمّد حامد العالم (*)

المقدمـــة

تمهيد:

علم المناهج بمفهومه الواسع من العلوم الحديثة، رغم أن فكرة بناء المناهج لم تكن جديدة، فقد عُرفت المناهج لدى الأمم السابقة، ففـــي عصـــر اليونان بنى أفلاطون منهجاً لتربية أفراد جمهوريته الفاضلة، آخـــذاً بتربيـــة الرؤساء والحكماء والمفكرين، معتمداً علـــى بعـــض المعـــارف والمـــواد كالرياضيات والهندسة والفلك والآداب والرياضة، والموسيقى. كذلك نجد أنّ أرسطو قد بنى منهجه مركزاً على المواد التربوية والنفسية العامة وبعـــض المعارف كالقراءة والكتابة والتمارين الرياضية والموسيقى والرسم. ورغـــم تلك الإضاءة من اهتمامات أفلاطون وكمينيوس وروسو وفروبل بالمنهج إلا أنّهم لم يحددوا ما ينبغي القيام به من إجراءات ولذلك لم تحدث قبـــل بدايـــة القرن العشرين أي دراسة علمية للمنهج ولم يعرف من التربويين من يلقـــب بخبير المناهج.

وبعد ظهور دعوة الإسلام ظهرت معالم المـــنهج منـــذ أن أُســـست الكتاتيب التي تعمل على تعليم القرآن الكريم والفقـــه والحـــديث والحســـاب والأدب والشـــعر. وبظهـــور بعـــض التربـــويين المســـلمين – أمثـــال الغزالي(١٠٥٨م-١١١١م) وابن خلدون(١٣٣٢م-١٤٠٦م) – تطور مفهوم المنهج الدراسي حيث بدت بعض المفاهيم التعليمية، مثلاً في تعلم الفقه شاع

(*)أستاذ مشارك في المناهج وطرق التدريس بقسم التربية، الكليـــة الجامعيـــة بالقنفـــذة، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية.

مفهوم فرض العين وفرض الكفاية، ومناهج العلوم الشرعية والعلوم الآليـــة. وأخذت المناهج الدراسية شكلاً علمياً منظماً، ركَّز على العلوم والمواد العقلية أو المعرفية، ولكن بعد مرور البلاد الإسلامية بفتـــرة كـــوارث وحـــروب واحتلال أجنبي وصليبي تغيرت فيه ملامح المنـــاهج العربيـــة الإســـلامية وصارت ضعيفة، سوى بعض الجهود التي حافظـــت علـــى روح المنـــاهج التعليمية الإسلامية[1]. وبالرغم من وجود المنهج كوسيلة رسمية فـــي تربيـــة النشء عبر التاريخ الإنساني لدى كل لأمم والشعوب، فلم يتبلور المنهج إلى حقل تخصصي مكتوب له لغته ومصطلحاته وأسسه ومنظروه ومختصـــوه، عدا الإشارات التي وضعها(فرانكلين بوبيت) عام(١٩١٨م) عندما وضع كتابا – هو الأول– من نوعه أسماه(المنهج) وكتابه الثاني (كيف تصنع منهجـــا). وقد وصف فيه(بوبيت) المنهج بأنه حقل تخصصي جديد، كما اقترح بعـــض الأسس والإجراءات التي يمكن اتباعها لتخطيط المنهج وتطويره. وتأتي من بعده محاولة(تشارترز) عام(١٩٢٣م) التي عبر عنها في كتابه (بناء المنهج). ثم جاءت المحاولات في كتابة المناهج تترى، فقد كتب(فرانكلين بوبيت) كتابا آخر بعنوان(كيف نضع المنهج). ثم ظهرت محاولات(تايلر) عـــام(١٩٤٩م) حيث كتب كتابه(مبادئ المنهج والتدريس) الذي ركَّز فيـــه علـــى الأهـــداف التربوية، وخبرات التعلم وتنظيمها، وتقييم كفاية التعلم. وفي الستينيات مـــن القرن العشرين كتبت (هيلدا تابا) عام(١٩٦٣م) كتابها(تطوير المنهج نظرية وممارسة). وتعتبر هذه الفترة هي فترة تقنين علم المناهج ووضعه في القالب العلمي الذي يضاهي العلوم الحديثة ولاسيما بعد أن بدأ(بنجامين بلوم) فـــي

[1] محمد زياد حمدان. المنهج المعاصر: عناصره ومصادره وعمليات بناءه، دار التربيـــة الحديث، ١٩٨٨م، ص١٠٤-١٠٧.

الكتابة عن الأهداف التربوية وتصنيفها، وقد ظلت تلك المفاهيم هي السائدة حتى اليوم[1].

مشكلة البحث وأهمية دراستها:

الملاحظ أن الجهود العلمية في مجال المناهج الدراسية عامة وأسس بناء المنهج خاصة، مما هو متوفر في الميدان التربوي، والمصادر التربوية اليوم، تنطلق من منطلقات فكرية وتوجهات ضيقة في غالبها، ولم تكن فيها رؤية إسلامية واضحة لأسس بناء المنهج. ورغم تأثر المناهج في العصور الوسطى بالنزعة الدينية للكنيسة وعلومها اللاهوتية في أوربا، إلا أنها تركت أمر بناء المناهج للفلاسفة التربويين دونما تحديد لعقيدة دينية بعينها مما فتح الباب لإدخال النظرة المادية غير الدينية، لذا تأتي أهمية هذا البحث في السعي لتأصيل أسس بناء المنهج الدراسي من منظور القرآن الكريم.

وثمة إشارات متعدِّدة تشكِّل منطلقاتٍ وأسساً منهجيةً تساعد في إيجاد مدخل نظري وتطبيقي لأسس بناء المنهج الدراسي. لذا قام الباحث بتقصي تلك الإشارات بالبحث في الآيات القرآنية، وذلك بتقصي الآيات وتصنيفها حسب دلالاتها عن أسس المنهج المدرسي، سواءً كان ذلك الأساس هو الفلسفي أم الاجتماعي أم النفسي أم المعرفي.

محدِّدات البحث:

يتناول الباحث أسس المنهج المدرسي وتطبيقاتها من منظور القرآن، مستعينا بتفسير الإشارات التي يجدها بالقرآن والدراسات التأصيلية محددا بها أهداف البحث.

---

[1] محمد زياد حمدان. المنهج المعاصر، مرجع سابق، ص١٩-٢٢، وهوانة. ،مرجع سابق، ص٣٠.

أهداف البحث:

يسعى البحث إلي:-

١- تحديد ملامح الأساس الفلسفي للمنهج من منظور القرآن الكريم

٢- معرفة ملامح الأساس الاجتماعي للمنهج من منظور القرآن الكريم

٣- توضيح مبادئ الأساس النفسي للمنهج من منظور القرآن الكريم

٤- تحديد البعد النظري للأساس المعرفي للمنهج من منظور القرآن الكريم

أسئلة البحث:

يجيب البحث عن السؤال الرئيس التالي:-

ما مدى وجود أسس نظرية لبناء المنهج المدرسي يمكن استقاؤها من القرآن الكريم؟

وتتفرع منه الأسئلة التالية:-

١- ما ملامح الأساس الفلسفي للمنهج وتطبيقاته من منظور القرآن الكريم؟

٢- ما ملامح الأساس الاجتماعي للمنهج وتطبيقاته من منظور القرآن الكريم؟

٣- ما ملامح الأساس النفسي للمنهج وتطبيقاته من منظور القرآن الكريم؟

٤- ما ملامح الأساس المعرفي للمنهج وتطبيقاته من منظور القرآن الكريم؟

منهج البحث:

اعتمد الباحث على المنهج الوصفي. والمنهج الوصفي هو منهج يعتمد على دراسة الواقع أو الظاهرة كما توجد في الواقع (مظانها)، ثم يصفها وصفا دقيقا، ويعبر عنها تعبيراً كيفياً وكمياً؛ كيفياً أي يصف الظاهرة موضحا خصائصها، وتعبيرا كميا ويعطي وصفا رقميا يوضح فيه مقدار

الظاهرة وحجمها ودرجات ارتباطها من الظواهر المختلفة عنها[1]. وفيه يصف الباحث الحقائق العلمية كما في مصادرها ومظانها ليستخلص منها إجابات لأسئلة الدراسة الموضحة آنفاً.

مصطلحات البحث:

بناء المنهج الدِّراسي: بناء علمي يُعد لخدمة فئة من المتعلمين، في مراحل مختلفة، تشمل عناصر ومكوِّنات للمنهج وهي تبدأ بالأهداف وتنتهي بالتقويم.

أسس: يقصد بها مرتكزات تحدد الجوهر والمضمون العلمي في المعارف والقيم التربوية كأن تقول: الأساس الاجتماعي والأساس النفسي وغيرهما.

مُخَطط البحث:

يتكون هذا البحث من مقدمة وخمسة مباحث، المبحث الأول يتناول المفهوم العام للمنهج الدراسي وأسس بنائه. والمبحث الثاني ويشمل مفهوم الأساس الفلسفي، مرتكزاته وتطبيقاته من منظور القرآن الكريم. أما المبحث الثالث فيتناول مفهوم الأساس الاجتماعي للمنهج، ومبادئه وتطبيقاته من القرآن الكريم. والمبحث الرابع يتناول مفهوم الأساس النفسي ومبادئه وتطبيقاته من القرآن الكريم. وأخيراً المبحث الخامس يعالج مفهوم الأساس المعرفي ومبادئه، وتطبيقاته من منظور القرآن الكريم.

[1] عبد الرحمن عدس، وآخرون. البحث العلمي: مفهومه وأدواته وأساليبه، دار أسامة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ، ص٢٤٧.

المبحث الأول

الإطار النظري

أ- مفهوم المنهج الدراسي:

قال ابن منظور: (طريقٌ نَهِجٌ:بَيِّنٌ واضح. والمِنْهَاج كالمَنْهَج وهو الطريق الواضح، وفي كلام العباس – عم النبي صلى الله عليه وسلم- " لم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تركّكم على طريق ناهجة)[1]. وقد تناولت المعاجم المعاصرة لفظ منهج بطريقة أوضح، فجاء في المعجم الوسيط: المنهاج: الخطة المرسومة – وهي كلمة محدثة – ومنها منهاج الدراسة ومنهاج التعليم، والجمع مناهج[2]. ووصلاً لمعني كلمة منهج فقد ورد في القرآن الكريم بذات المعنى المقصود، ومنه قوله تعالى:﴿...لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً...﴾(المائدة،٤٨).

أما في الاصطلاح التربوي فللمنهج مفهومان، المفهوم الأول:مفهوم ضيق وهو مفهوم تقليدي درج عليه التربويون منذ القدم وعرَّفوه بأنّه: "مجموعة المقررات الدراسية التي يتولى المختصون إعدادها ويقوم المتعلمون بدراستها تحت إشراف المدرسة"[3].

ومن التعريف السابق يتضح أنّه قد عُني بالمقررات الدراسية أي الاهتمام بالمعارف، وهو الهدف الأسمى للتربية التقليدية المتمثل في تزويد المتعلم بأكبر قدر ممكن من المعلومات، باعتبار أن المعرفة هي القيمة المهمة في الحياة، وأنّ تزويد المتعلم بها يكفي وحده لتوجيه سلوكه، وظل

---

[1] ابن منظر. لسان العرب، مادة نهج، باب الجيم، حرف النون.

[2] إبراهيم أنيس وآخرون،ج٢،ص٩٥٧.

[3] محمد أمين المفتي. المنهج: أسسه بناؤه تنظيمه تقويمه وتطوره، القاهرة، كلية التربية عين شمس، د.ت، ص١٤.

هذا المفهوم سائداً في بناء المناهج قبل القرن العشرين، ولم يتغير إلا بعد أن قدمت له انتقادات تربوية إيذاناً ببدء مرحلة جديدة. لذا كان المفهوم الثاني:وهو المفهوم الحديث ويسمى المفهوم الواسع، وقد ظهر نتيجة لبعض العوامل مثل التطورات العلمية والتقنية والثقافية والاجتماعية في الحياة، وقد أدى تطور ميادين البحث في علم النفس لإيجاد نتائج ساعدت في تأسيس المفهوم الحديث للمنهج، الذي أصبح يعني "مجموعة من الخبرات والأنشطة التي تقدمها المدرسة للتلاميذ داخلها وخارجها، بقصد مساعدتهم على النمو الشامل المتكامل، الذي يؤدي إلى تعديل سلوكهم، ويضمن تفاعلهم مع بيئتهم ومجتمعهم، ويجعلهم يبتكرون حلولا مناسبة لما يواجههم من مشكلات". وفقاً للتّعريف السابق أصبح المنهج أكثر شمولا في خبراته واهتماماته سواءً كان في مجال النمو، أم العمليات العقلية، أم دور المعلم والمدرسة، أم تغير أهداف المنهج التي اهتمت أيضاً بالجوانب المهارية والوجدانية، وبذلك أصبح المنهج نظاما تتكامل فيه المدخلات والعمليات، وتتناغم فيه المخرجات والتغذية الراجعة[1].

ب- مفهوم أسس بناء المنهج الدراسي:

لما كان المنهج بمفهومه الحديث نظاماً بنيوياً لخدمة فئات من المتعلمين، فقد أصبحت عناصره مترابطة؛ من أهداف، ومحتوى دراسي، وطرق تدريس ووسائل، وأنشطة، وتقويم، وكان لابدّ لهذه العناصر من أسس منهجية ينطلق منها بناء المنهج.

[1] حسن جعفر الخليفة. المنهج المدرسي المعاصر: مفهومه مكوناته تنظيماته تقويمه وتطويره، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط٥، ٢٠٠٥م، ص١٩-٢٢.

ولبناء المنهج أسس أربعة: الأساس الفلسفي ويظهر عقيدة المجتمع وفلسفته، والأساس الاجتماعي الذي يوضح ثقافة المجتمع وعاداته وتقاليـــده، والأساس النفسي وينظر في نفسية المتعلم من حيث طبيعته ومراحل نمـــوه وميوله وحاجاته ومشكلاته، والأساس المعرفي الذي يتناول مصادر المعرفة، وطبيعتها، وأدواتها، وبنيتها وكيفية تنظيمها ليسهل على المـــتعلم اســـتيعابها وتطبيقها في الحياة[1].

[1] المرجع نفسه، ص٣١

المبحث الثاني

الأساس الفلسفي للمنهج من منظور القرآن الكريم

أ- مفهوم الأساس الفلسفي:

ينطلق الأساس الفلسفي لأي مجتمع من المرجعية التي يضعها ذلك المجتمع لتوجيه العملية التربوية وجهة معينة تتحكم في اختيار المناهج وإعداد المقررات الدراسية وطريقة سير العملية التربوية وطرق تقويمها. ويقول الدمرداش سرحان: "يشتق المنهج فلسفته من فلسفة المجتمع وآماله"[1]. ويُقصد بالأساس الفلسفي "الفلسفة التربوية التي تمثل إطارا فكرياً يساعد في تحديد أهداف هذا المنهج، واختيار مضمونه ومناشطه وأساليب تقويمه". ولعلّ غياب هذه الفلسفة يجعل المنهج بلا هدف وبلا مضمون[2]. ويميل الباحث إلى استخدام مصطلح(الأساس العقدي) بدلا من الفلسفي، باعتبار أن لفظ فلسفي قد يعبر عن الفلسفات كلها بمفهومها الأرضي الذي لا يفهم منه لفظ(دين).

ب- مرتكزات الأساس الفلسفي من منظور القرآن الكريم:

بتحليل الآيات القرآنية في مجال العقيدة، يمكن استنباط ثلاثة مرتكزات مهمة للأساس الفلسفي، ولكلِ واحدٍ من هذه المرتكزات خصائصه التي تبيّن تفاصيل تطبيقاته التربوية كما سيتّضح أدناه:

المرتكز الأول:نظرة القرآن الكريم إلى الكون:

- في القرآن الكريم الكون مخلوق بهدف وغاية، قال تعالى:﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ﴾(الأنبياء،١٦).

---

[1] الدمرداش عبد المجيد سرحان. المناهج المعاصرة، مكتبة الفلاح، الكويت، ط٣، ١٩٨١م،ص ٥٥.

[2] حسن جعفر الخليفة. المنهج المدرسي المعاصر: مفهومه مكوناته تنظيماته تقويمه وتطويره، مرجع سابق، ص٢٥.

– يوضح القرآن الكريم أن الكون مخلوق بقدر وتوازن، قال تعالى:﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ * لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾(يس،٣٨–٤٠).

– إن الكون وما فيه مخلوقات تسبِّح بحمد الله اعترافاً بعظمته، قال تعالى:﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ۚ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ الإسراء،٤٤).

– الكون مخلوق كسائر المخلوقات، يعتريه ما يعتريها، فهو حادث وليس أزليا. قال تعالى:﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾(الزلزلة،١،٢). وقوله تعالى:﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ ۖ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾(إبراهيم،٤٨).

– يؤكد القرآن الكريم أن الغيب من مرتكزات العقيدة السليمة، ومعرفة الغيب لله وحده. وعلى المسلم التسليم بذلك. قال تعالى:﴿الم * ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾(البقرة،١–٣).

– الإشارة في القرآن إلى جمال الكون، قال تعالى:﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ{٢} الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ{٣} ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِأً وَهُوَ حَسِيرٌ{٤} وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِّلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾(الملك،٢–٥). وقوله:﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ﴾(الصافات،٦).

– الكون مسخر للإنسان وخدمته، وعليه أن يكتشف كيفية التعامل معه، قال تعالى:﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾(الأعراف،٥٤). قال النّسفي في تفسير قوله تعالى "مسخرات" أي:مذللات[1]. وكذلك في قوله تعالى:﴿...اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ{*} وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ{*} وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾(إبراهيم،٣٢-٣٤). وقوله تعالى:﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(النحل،١٤). وقوله تعالى:﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(الحج،٣٦). وقوله تعالى:﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾(ص،٣٦).

لذا فواجب خبير المناهج الذي يعمل على بنائها لأبناء المسلمين أن يضع في حسابه تلك المرتكزات آنفة الذكر، وان تكون هي المرجعية في انتقاء المقررات الدراسية وإعدادها، وبالنظر إلى تلك المرتكزات يمكننا توجيه

[1] أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تحقيق: يوسف علي بدوي، ومحي الدين ديب مستو، دار ابن كثير، بيروت، ج٢،ص١٦.

المناهج وفق هذا الأساس العقدي الذي يوفر لنا رؤية تربوية وبوصلة واضحة في التعامل مع قضايا الكون والإنسان والحياة وغيرها.

المرتكز الثاني:نظرة القرآن الكريم إلى الإنسان:

- يوضح القرآن الكريم أن الهدف من خلق الإنسان إنما لعبادة الله، قال تعالى:﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ﴾(الذاريات،٥٦). وذكر الشوكاني في تفسيره فتح القدير، في قوله تعالى " إلا ليعبدون" قال:قال الكلبي:المعنى إلا ليوحدون فأما المؤمن فيوحده في الشدة والرخاء وأما الكافر فيوحده في الشدة دون النعمة.(ج٥،ص١٣٠). وقوله تعالى:﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾(البينة،٥).

- الإنسان مخلوق مكرَّم، ومفضَّل على كثير من مخلوقات الله، قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾(الإسراء،٧٠).

- الإنسان محاسب على جميع أماله يوم القيامة، قال تعالى:﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ﴾(المؤمنون،١١٥).

- الإيمان ليس قسراً وإنما هناك حرية كاملة تستلزم المسئولية التامة عمّا يصدر من خير وشر، قال تعالى:﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لا انْفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(البقرة،٢٥٦). وقوله تعالى:﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ ۖ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾(الكهف،٢٩).

– أفضلية الإنسان بالتقوى لا بالحسب والجاه والمكانة الاجتماعية، قال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾(الحجرات،١٣).

– إن الروح سر لا يعلمه إلا الله وليس لبشر أن يدرك كنهها لأنها من أسرار الخلق التي لا يدركها إلا الله، قال تعالى:﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاّ قَلِيلاً﴾(الإسراء،٨٥).

– ويشير القرآن إلى أن العقل هو مناط التكليف ومحور المسئولية، وشرف الإنسان وامتيازه على سائر الخلق، وظيفته الأساسية هي التفكر والتعقل واستخدامه للوصول إلى الحقيقة والإيمان بالله، وقد وردت عبارة يعقلون في القرآن(٢٢) مرة، بينما وردت عبارة يتفكرون في القرآن(١١)مرة. ومنها قوله تعالى:﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾(البقرة،١٦٤). وقوله تعالى:﴿وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾(الرعد،٤).

– والنفس في القرآن الكريم قوة حيوية وإرادة وغريزة، مرتكزةٌ فيها تلك الاستعدادات، تعمل في ظروف مختلفة متأثرة بما ألهمت من فجور وتقوى، قال تعالى:﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا{*} فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا{*} قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا{*} وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾(الشمس،٧–١٠).

– الجسم من أهم مكونات الطبيعة الإنسانية، بقوته يقوى الإنسان للقيام بدوره ورسالته في الحياة وإعمارها، قال تعالى:﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ...﴾(البقرة،٢٤٧).

– يؤكد القرآن أن الإنسان مستعد – حسب تكوينه الذاتي – أن يرتفع إلى أرقى آفاق الملائكة المقربين، كما انه مستعد لأن ينحط إلى أدنى دركات العجماوات[١]. وذلك بما يمارسه من أعمال وتصرفات سلوكية، قال تعالى:﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ{٤} ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾(التين،٤–٥).

قال أبو السعود في تفسيره " وقوله تعالى ثم رددناه أسفل سافلين أي جعلناه من أهل النار الذين هم أقبح من كل قبيح وأسفل من كل سافل لعدم جريانه على موجب ما خلقناه عليه من الصفات التي لو عمل بمقتضاها لكان في أعلى عليين"(إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج٩،ص١٧٥).

– الإنسان مخير في بعض جوانب الحياة، ولكن بالمقابل مسير في جوانب أخرى منها ولا سيما السمعيات والغيبيات، قال تعالى:﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ ۖ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ...﴾(الكهف،٢٩).

– الإنسان خليفة الله في الأرض يضطلع بأعمال الخير و العدل والإحسان، قال تعالى:﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾(البقرة،٣٠).

[١] حسن جعفر الخليفة. المنهج المعاصر، مرجع سابق، ص٤٤.

– مهما أذنب ابن آدم فان خطيئته مغفورة بإذن الله، ولا توجد خطيئة موروثة ولا ذنب لا يغفر. فالتوبة بابها مفتوحٌ أمام الفرد. قال تعالى:﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾(الزمر،٥٣).

المرتكز الثالث:نظرة القرآن إلى الحياة:

– الحياة في المفهوم القرآني حياة هادفة وليست مجرد فترة يقضيها الإنسان هكذا دون اهتمام بالزمن والرسالة السامية التي خلق من أجلها، قال تعالى:﴿ فَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ﴾(المؤمنون،١١٥). قال القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن، وقوله تعالى " أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا " أي مهملين كما خلقت البهائم لا ثواب لها ولا عقاب عليها مثل قوله تعالى:﴿أَيَحْسَبُ الإنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾(القيامة:٣٦)[1].

– الفرد المسلم مطالبٌ بالعمل لنيل خيري الدار الآخرة والحياة الدنيا، دون تفريط أو إفراط. قال تعالى:﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾(القصص،٧٧).

– الإنسان مطالب بإتباع منهج الله وشريعته التي ارتضى للناس، فهو خالقهم وربهم وأعلم بطبائعهم وحاجاتهم، قال تعالى:﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾(الجاثية،١٨). وقوله تعالى:﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ۖ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ

[1] أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي. الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: عبد الرازق المهدي، ط١٩٩٨م، ج١٢ ، ص ١٤٠.

جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾(المائدة،٤٨). وقوله تعالى:﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(الأنعام،١٥٣).

– تقوم الحياة على الابتلاء والتعب والمجاهدة والكد والاجتهاد والتفكر في حل المشكلات، لا على جاهزية كسب المنافع وتسخيرها دون كد وكبد وعمل، قال تعالى:﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾(الملك،٢). وقوله تعالى:﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾(البلد،٤). وقوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ﴾(الانشقاق،٦).

– كل ما يدب في الأرض أو كل الأحياء أمم ذات طبائع كالبشر، ولكل فطرته، قال تعالى:﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾(الأنعام،٣٨).

– تقوم الحياة على التنوع الاجتماعي والاحترام والعدل في إطار الوحدة والتكامل، مع نبذ التمييز العنصري للون أو لسان أو عرق، قال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾(الحجرات،١٣).

– الدعوة للتوسط في كل سلوك وعمل وتجنب الغلو والإفراط والتفريط، قال تعالى:﴿كَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً...﴾(البقرة،١٤٣).

– قد تكفل الله برزق كل فرد في هذه الحياة مهما كانت مكانته وديانته، قال تعالى:﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللّـهِ رِزْقُهَـا وَيَعْلَـمُ مُسْـتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾(هود،٦). وقوله تعالى:﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَـى اللّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّـي عَلَـى صِـرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(هود،٥٦). وقوله تعالى:﴿وَكَأَيِّن مِن دَابَّةٍ لا تَحْمِـلُ رِزْقَهَـا اللَّـهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾(العنكبوت،٦٠).

ج – تطبيقات الأساس العقدي للمنهج من القرآن الكريم:

فيما يلي يقوم الباحث باستخلاص بعض المبـادئ و التطبيقـات للأسـاس العقدي من القرآن الكريم وكيفية وضعها في المنهج الدراسي. فبالرغم مـن وجود علاقة بين مصطلح العقيدة في المفهوم القرآني والفلسفة، إلا أن القرآن يعطي العقيدة بعدا دنيويا وأخرويا. فالإنسان هو محور الكون الـذي تـدور حوله تكاليف الدين والشريعة، ومن ثم فمن الضـروري إيجـاد علاقـات ترابطية بين الإنسان وما حوله، وللوصول إلى ذلك نطرح الأسئلة التالية[1]:

١. ما علاقة المتعلم بالله سبحانه؟
٢. ما علاقة المتعلم بالكون؟
٣. ما علاقة المتعلم بأخيه الإنسان؟
٤. ما علاقة المتعلم بالحياة؟
٥. ما علاقة المتعلم بالحياة الآخرة؟

وبالنّظر إلى مرتكزات الأساس العقدي المستقاة من القرآن الكـريم سابقاً، يمكن القول:إن المنهج الدراسي ينبغي أن يوضح بصـراحة علاقـة

[1] عثمان محمد حامد العالم. منهج الإسلام في التربية، رؤية في المفـاهيم والتطبيقـات، كتاب منهجي، ٢٠٠٧م، ص١٦.

الإنسان بخالقه،وهي علاقة عبودية،﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إلاّ لِيَعْبُدُونِ﴾(الذاريات،٥٦). فالعبادة بمفهومها العام هي السبب الأساسي لخلق الإنسان. أما العلاقة بين الإنسان والكون فهي علاقة تسخير، وواجب الإنسان أن يعمل على كشف القوانين الكونية واستخدامها، فالقرآن هو كتاب الله المنثور المقروء؛ والكون هو كتاب الله المنظور، ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لَّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(الجاثية،١٣). والعلاقة بين الإنسان وأخيه الإنسان أين ما كان وكيفما كان هي علاقة تقوم على العدل والإحسان، ﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾(النحل،٩٠). فالإنسان في مجتمعه محتاج للأمن والسلام، ولا بد من روح العدل بعيداً عن العنصرية والعصبية. أما علاقة الإنسان بالحياة فتقوم على الابتلاء؛ والحياة هي الزمن والمسرح المقرر لهذا الاختبار، ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾(الملك،٢). وتتعدَّد مظاهر ذلك الابتلاء فهناك الابتلاء بالخير، والابتلاء بالشر، وكلها من مظاهر التدين. وعلاقة الإنسان بالآخرة هي علاقة مسؤولية وجزاء[١]. فإذا انتهت مدة الحياة المقررة لابتلاء الفرد طُوي الامتحان وأقبلت مرحلة أخرى وهي الحياة الآخرة وهي مكان السؤال:﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾(الأعراف،٦).

[١] ماجد عرسان الكيلاني. فلسفة التربية الإسلامية: دراسة مقارنة، دار المنارة، جدة، المملكة العربية السعودية، ١٩٨٧م، ص٧٥-١٦٨.

استفاد الباحث من نموذج العلاقات للتربوي/ ماجد عرسان الكيلاني مصمماً بذلك نموذجاً للعلاقات بين المتعلم والمنهج الدراسي، وذلك لتطبيقـــه في الأساس الفلسفي(العقدي)، كما يتضح ذلك النموذج في الشكل التالي:

شكل رقم(١) يوضح نموذج العلاقات وتطبيقاتها بين المتعلم والمنهج الدراسي من منظور القرآن الكريم[١]

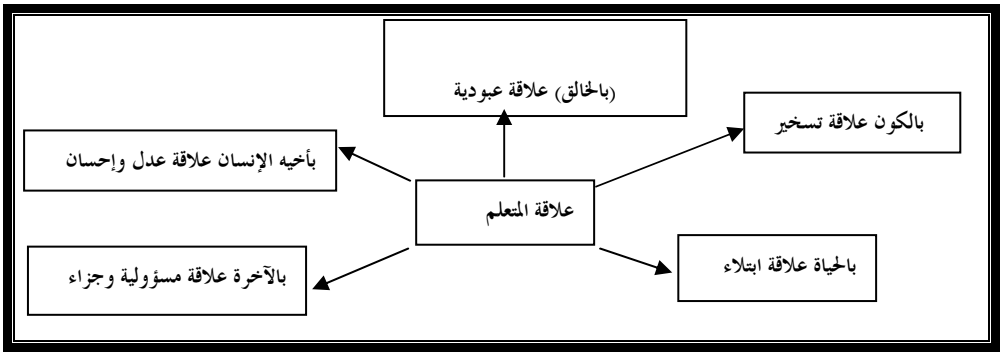

[١] المرجع السابق نفسه، ص٧٥-١٦٨.

المبحث الثالث

الأساس الاجتماعي للمنهج من منظور القرآن الكريم

أ- مفهوم الأساس الاجتماعي:

إذا كان المجتمع هو "إطار عام يحدد العلاقات التي تنشأ بين عدد من الأفراد والجماعات في بيئة معينة تنشا بينهم مجموعة من الأهداف المشتركة والمنافع المتبادلة، وتحكمهم مجموعة من القيم والقواعد والأساليب المنظمة لسلوكياتهم وتفاعلاتهم"(جودت سعادة وآخر،١٩٩١م،ص١٣٢). فإن القرآن الكريم يحدد المفهوم ذاته، بل يعزز من الأهداف والقيم والقواعد والأساليب لسلوك الناس بطرق وأساليب أكثر شمولاً وعدلا. ويقوم المفهوم القرآني للأساس الاجتماعي على أسس الزوجية والتعدد الشعوبي والقبلي، الذي تحكمه ضوابط وقيم مشتركة تدعوهم إلى الوحدة أكثر من الفرقة، أساس اجتماعي معاييره هي التقوى ومراعاة حق الله واستقامة الآخر.

ب- مبادئ الأساس الاجتماعي للمنهج في القرآن الكريم

- أشار القرآن الكريم إلى ضرورة وجود تجمع بشري يكون نسيج المجتمع، وقد عبر عن ذلك بعدة عبارات، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر، مثل كلمة قرية وفرقة، كقوله تعالى:﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلاَّ وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾(الحجر،٤). واستخدم القرآن كلمة نفر وطائفة كقوله تعالى:﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾(التوبة،١٢٢).

- وأشار القرآن الكريم إلى ضرورة احترام الوالدين والالتزام ببرهما، قال تعالى:﴿وَوَصَّيْنَا الإنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ

بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(العنكبوت،٨).
وقوله تعالى:﴿وَوَصَّيْنَا الْنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً...﴾(الأحقاف،١٥).

– كذلك الحرص على صلة الرحم، والتراحم لجميع المسلمين، قال تعالى:﴿...وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾(النساء،١).

– ومن هذه المبادئ الاجتماعية القرآنية رعاية اليتامى والمساكين وذي القربى والجار الجنب، ومراعاة حق الجيرة عموما، قال تعالى:﴿وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً﴾(النساء،٣٦).

– مبدأ إشاعة روح الوحدة والالتزام بأدب الاختلاف في المجتمع ولو تباينت طوائفه وتعددت، ومحاولة مسايرة الآخر بقدر الإمكان ولو كان ذلك في العموميات أو حتى في الخصوصيات أحيانا، في حدود الشرع، قال تعالى:﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾(آل عمران،١٠٣).
قال القرطبي:وقوله تعالى:"واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا..." فيه مسألتان:الأولى:قوله تعالى:"واعتصموا "، العصمة:المنعة، والثانية:قوله تعالى "ولا تفرقوا " يعني في دينكم كما افترقت اليهود والنصارى في أديانهم، واستطرد قائلاً:وعن ابن مسعود وغيره:" ويجوز أن يكون معناه ولا

تفرقوا متابعين للهوى والأغراض المختلفة وكونوا في دين الله إخوانا فيكون ذلك منعا لهم عن التقاطع والتدابر ودل عليه ما بعده... "[1].

– دعوة القرآن الكريم للإيثار وترك الأنانية، قال تعالى:﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(الحشر،٩).

– مبدأ التعاون على البر والتقوى، والاشتراك في مسئولية توجيه سلوك أفراد المجتمع، قال تعالى:﴿...وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾(المائدة،٢).

– مبدأ حسن التعامل مع جميع بني آدم، والحرص على التعايش السلمي، قال تعالى:﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُواْ وَاصْفَحُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(البقرة،١٩٠).

– مبدأ توخي العدالة في التعامل مع قضايا الناس كافة بالمجتمع، قال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾(المائدة،٨). وقوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقِيراً فَاللّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُواْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾(النساء،١٣٥). وقوله تعالى:﴿...وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ

[1] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن،مرجع سابق، مج ٤، ص ١٥٥.

وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللّهِ أَوْفُواْ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾(الأنعام،١٥٢). وقال تعالى:﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾(هود،٨٥).

– الدعوة لاستخدام الحكمة واللين عند تقديم النصح وإصلاح الناس، ومجادلة مخالفي العقيدة الإسلامية بالتي هي أحسن، قال تعالى:﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾(النحل،١٢٥). وقوله تعالى:﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى{*} فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾(طه،٤٣–٤٤).

– مبدأ الاهتمام بالمظهر والزَّيِّ الذي يواري السوءة ويحفظ للإنسان زينته وكرامته، دون إسراف ومخيلة، قال تعالى:﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ{٣١} قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾(الأعراف،٣١–٣٢). وقوله تعالى:﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾(الأعراف،٢٦).

ج– تطبيقات الأساس الاجتماعي من القرآن الكريم بالمنهج

إن الحديث عن التطبيقات في الأساس الاجتماعي المستقاة من القرآن الكريم إنما تعني مراعاة دعائم الاستقرار في المجتمع، وأصول الثقافة المحلية المعبرة عن ذلك المجتمع، وأن تكون تلك الدعائم واضحة في المناهج الدراسية،من عدلٍ وإحسانٍ واهتمامٍ بذي القربى والنهي عن الفحشاء والمنكر

والبغي والوفاء بالوعد ووعدم نقض الأيمان وخيانته وعدم تحقير عهد الله، قال تعالى:﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ{٩٠} وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ{*} وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا من بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثاً تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ{*} وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلكن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ{٩٣} وَلاَ تَتَّخِذُواْ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ السُّوءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(النحل،٩٠-٩٤). وذلك حتى يفهم المتعلم أن العيش في المجتمع يعني الالتزام بحزمة من المبادئ الاجتماعية النابعة من أصول الثقافة المجتمعية له. وفيما يلي يقوم الباحث باقتراح نموذجٍ اجتماعي يمثل مرتكزا لتطبيق الأساس الاجتماعي المستمد من القرآن الكريم، يتكون هذا النموذج من أربعة عناصر هي:المجتمع، المتعلم، العلاقات، والثقافة. فبخصوص المجتمع ضرورة وجود مجتمع قيمي مسئول، له أهدافه ومبادؤه وأدواته العدلية التي تحمى الفرد. أما المتعلم فمن حقه الرعاية الطيبة والكفالة في ظل مجتمع سوي، تتضافر فيه المؤسسات الاجتماعية لإعداده إعدادا جيدا للدنيا والآخرة، سواءً كان في الأسرة أم المسجد أم المدرسة أم النادي أم مؤسسات الإعلام المختلفة. ثم عنصر الثقافة المرجعية التي يجب أن تنشا لدى المتعلم محلية أصيلة ثم عالمية موزونة ومنضبطة. أما عنصر العلاقات فيعني ضرورة مسايرة المجتمع، واحترام الآخر وفهم العلاقة في

إطار اجتماعي واضح، مع التوسط في التعامل، بعيدا عن الانفتاح والانغلاق الزائدين. ولتوضيح ذلك قام الباحث بتصميم النموذج التالي:

شكل رقم(٢) يوضح نموذج تطبيق الأساس الاجتماعي المستمد من القرآن الكريم

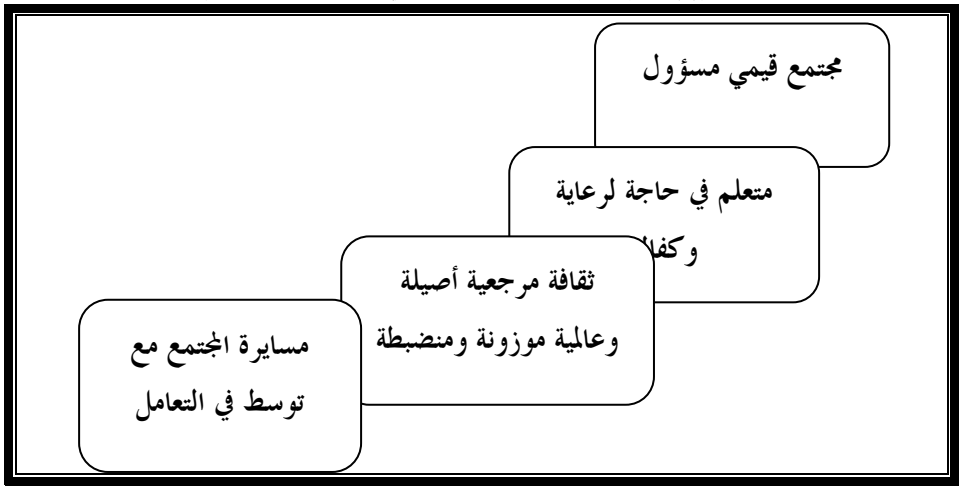

المبحث الرابع

الأساس النفسي للمنهج من منظور القرآن الكريم

١- مفهوم الأساس النفسي

ينطلق الأساس النفسي من الاهتمام بمجموعة من الاعتبارات النفسية للفرد منها مراحل نموه وخصائصها ومطالبها، وكيفية التعلم وشروطه. ويمكن تعريف الأساس النفسي على أنّه: "دراسة المتعلم بوصفه محور العملية التعليمية من حيث خصائص نموه ومراحل هذا النمو، وما يرتبط بذلك من معلومات في مجال التعلم وتفسير كيفية حدوثه"[١]. أما مفهوم الأساس النفسي في القرآن الكريم إنما ينطلق من بعض الثوابت منها معرفة خصائص النفس البشرية الطبيعية وحدود تلك الطبائع. "ومعرفة النفس البشرية هي مفتاح إلى معرفة الله"(حسن جعفر الخليفة،٢٠٠٥م،ص٦٧). قال تعالى:﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾(الذاريات،٢١). وقوله ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾(فصلت،٥٣).

ب- مبادئ الأساس النفسي للمنهج في القرآن الكريم

ورد في القرآن الكريم الاهتمام بالنفس البشرية في أكثر من آية قرآنية، فيها إشارة واضحة بأهمية النفس، ومن تلك الإشارات الأسس والمبادئ المستقاة التالية:

- مراعاة الرفق في التعامل مع الناس سواءً كانوا من المتعلمين أو المدعوين أياً كانوا، قال تعالى:﴿وَلِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾(آل عمران،١٥٩).

[١] حسن جعفر الخليفة، مرجع سابق، ص٦٧.

– مراعاة الفروق الفردية بين كل الأفراد المتعلمين، وعدم تكليف النفس بما هو اكبر من طاقتها، قال تعالى:﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضاً سُخْرِيّاً وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾(الزخرف،٣٢). وقوله تعالى:﴿لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا...﴾(البقرة،٢٨٦). وقوله تعالى:﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(الأنعام،١٦٥).

– الكف عن السخرية من أي فرد من الأفراد، حتى لا تنكسر نفسه ويشعر بالدونية، ومن ثمَّ تضرُّ به العزلة، قال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ وَلا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾(الحجرات،١١).

– الإشارة إلى أن للإنسان القدرة على التعلم، فقد زوده الله بالغرائز الفطرية من حب الاستطلاع والفضول والقدرة على الحفظ والتذكر والاستدعاء والفهم والنسيان، بل زوَّده بعدد من أدوات المعرفة كالسمع والبصر والقلب، كما هيأ له كل العمليات العقلية التي تساعده للقيام بمهمة التعلم واكتسابه وتخزين الخبرات، قال تعالى:﴿وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(النحل،٧٨). وقال القرطبي:وقوله تعالى:"والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا" أي "ذكر أن من نعمه أن أخرجكم من بطون أمهاتكم أطفالاً لا علم لكم بشيء، وفيه ثلاثة أقاويل:أحدها لا تعلمون شيئاً مما أُخذ عليكم من الميثاق في أصلاب آبائكم، والثاني:لا تعلمون شيئاً مما قضى عليكم من السعادة

والشقاء، والثالث:لا تعلمون شيئاً من منافعكم...ثم ابتدأ فقال: "وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة " أي التي تعلمون بها وتدركون، لأن الله جعل ذلك لعباده قبل إخراجهم من البطون وإنما أعطاهم ذلك بعد ما أخرجهم، أي وجعل لكم السمع لتسمعوا به الأمر والنهي، والأبصار لتبصروا بها آثار صنعه، والأفئدة لتصلوا بها إلى معرفته... وقوله " وجعل لكم السمع " أي: إثبات النطق لأن من لم يسمع لم يتكلم وإذا وُجدت حاسةُ السمع وُجد النطق... "[1]. وكذلك قوله:﴿عَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَـؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾(البقرة،٣١).

– الإشارة إلى مراحل النمو وبعض مطالبه واحتياجاته من فترات يمر بها الإنسان وحمل للجنين وإرضاعه وغير ذلك، قال تعالى:﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾(الروم،٥٤). وقوله:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاء إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾(الحج،٥). وقوله:﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾(لقمان،١٤). وقوله تعالى:﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ

[1] القرطبي. الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، مج ١٠، ص ١٣٤.

نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾(الأحقاف،١٥).

– الإشارة إلى شروط التعلم المتمثلة في معيار النضج الإنساني، قال تعالى:﴿...حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ...﴾(الأحقاف،١٥). بل يزيد القرآن شرطاً جديداً وهو التقوى، قال تعالى:﴿...وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾(البقرة،٢٨٢).

ج– تطبيقات الأساس النفسي من القرآن الكريم

إذا كان الأساس الاجتماعي يهتم بالاعتبارات الاجتماعية، فإن الأساس النفسي يهتم بالفرد نفسه أي الاعتبارات النفسية، ويقوم الباحث بوضع نموذج مقترح تطبيقي يعكس فلسفة الأساس النفسي في القرآن الكريم. فيشير القرآن الكريم إلي وجود متعلم له قدرات واستعدادات وله أدوات للتعلم، يحتاج لمراعاة ظروف التعلم، مع وضع اعتبار لمعايير النضج لكل مرحلة نمو، والاهتمام بالجانب الروحي بجانب العنصر النفسي، ولتوضيح ذلك قام الباحث بتصميم النموذج التالي:

شكل رقم(٣) يوضح نموذج تطبيق الأساس النفسي المستمد من القرآن الكريم

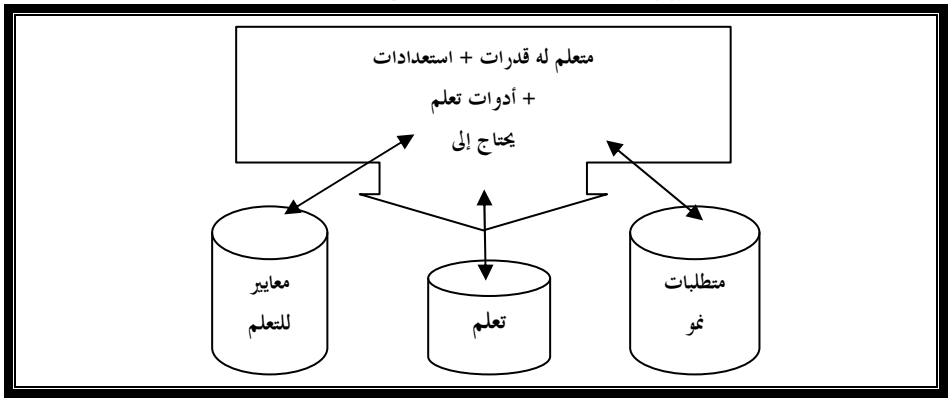

المبحث الخامس

الأساس المعرفي للمنهج من منظور القرآن الكريم

أ- مفهوم الأساس المعرفي

المقصود بالأساس المعرفي:النظرة إلى طبيعة المعرفة، ومصادر اكتسابها وأدواتها، ومعرفة كيفية بنية تنظيمها، وتقديمها للمتعلم من خلال المنهج المدرسي[1]. ومن هنا تأتي أهمية دراسة نظرية المعرفة في القرآن الكريم، حيث جاءت ملامح المعرفة في القرآن واضحة ومتعددة، فقد أشار القرآن إلى مصادر المعرفة وأدواتها وبين أنها في كثير من جوانبها مكتسبة بالإضافة إلى جانب النقل. وتأتي أهمية البحث في هذا الإطار لإبراز الهوية الحضارية للمجتمعات الإسلامية،(مصطفى رجب،٢٠٠٦م،ص ص٢١-٢٢). والمعرفة في القرآن تأتي في بعض معانيها للدلالة على إدراك الشئ لقوله تعالى:﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾(البقرة،١٤٦). وقد تأتي المعرفة بمعنى البيان والعلم، ويوجد فرق بين العلم والمعرفة، فالمعرفة تدل على ما تدرك آثاره وان لم يدرك ذاته، أما العلم فيطلق على ما يدرك ذاته، فالمعرفة تأتي غير مباشرة لذا فهي اقل عمقا من العلم، فالمولى عزَّ وجل يوصف بأنه العليم والعالم ولم يوصف بأنه العارف[2].

ومن هنا يمكننا القول إن الأساس المعرفي في القرآن الكريم هو عملية النظر إلى المعرفة بأنها توقيفية فطرية في بعض جوانبها ومكتسبة في

[1] حسن جعفر الخليفة،مرجع سابق، ص٨٧.

[2] عماد محمد محمد عطية. التربية الإسلامية: مصادرها وتطبيقاتها، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٤م، ص١١١-١١٢.

جوانب أخرى، فطرية باعتبار أن الله أودع في النفس البشرية القدرات والاستعدادات، ومكتسبة لأن الله تعالى خلق للمعرفة أدوات عن طريقها يستطيع كل فرد أن يدرك الغيبيات ويصل إلى المعلومة والخبرة المشاهدة.(العالم،،٢٠٠٧م،ص١٦).

ب- مبادئ الأساس المعرفي للمنهج في القرآن الكريم

لقد ألمح القرآن الكريم إلى جملة من المبادئ التي تأصّل للأساس المعرفي وكيفية تطبيقه في المنهج الدراسي. ومنها:

- يشير القرآن الكريم إلى أن جزءاً من المعرفة فطري، ويدخل ذلك ضمن الغرائز، فيولد الفرد وله الاستعداد للرضاعة وتزداد تلك المهارة بالتدريب المستمر، قال تعالى:﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾(الروم،٣٠).

- الإشارة إلى أن بعض المعارف مكتسب، فالإنسان يولد وهو لا يعلم شيئا وإنما يكتسب العلم والمعرفة بعد ذلك بما زوده به الله من عقل وحواس، قال تعالى:﴿وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(النحل،٧٨).

- يشير القرآن الكريم إلى عدة أدوات يتعلم عن طريقها الإنسان ويكشف بها عن مكنونات الكون والحياة وذلك بذكر بعض المفردات الدالة على ذلك مثل:كلمة أوحى التي يفهم منها(الوحي)، وكلمة يعقلون التي يفهم منها(العقل)، وكلمة تحس التي يفهم منها(الحس)، قال تعالى:﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾(الأعراف،١١٧). وقوله تعالى:﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَـذَا الْقُرْآنَ وَإِن

كُنتَ من قَبْلِه لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾(يوسف،٣). وقوله تعالى:﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزاً﴾(مريم،٩٨). ومن هذه الأدوات إجراء التجارب العملية التي أشار إليها القرآن باعتبارها أكثر الأدوات التي تزيل الشك للمتعلم عمّا يبحث عنه، قال تعالى:﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(البقرة،٢٦٠).

– الإشارة إلى أهمية القراءة كمدخل لاكتشاف الكون وما حول الإنسان من علاقات. وضرورة أن تلك القراءة باسم الله للاعتراف بصفة(الخالقية) والربوبية له تعالى، قال تعالى:﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ{١} خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ{*} اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ{*} الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ{*} عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾(العلق،١–٥).

– وقد أشار القرآن إلى عدة مجالات للمعرفة، واستخدم ألفاظاً بعينها، منها لفظ الغيب، ولفظ الشهادة، لقوله تعالى:﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّوَرِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾(الأنعام،٧٣). وهذا يعني أن العلوم بعضها غيبي لا يعلمها إلا الله وبعضها علوم شهادة يكتشفها الإنسان ويعقلها ويجتهد في معرفتها وفلسفتها واستنتاجها وتطبيقها في الحياة، ويعمل على وضعها في مناهج دراسية لتعليمها إلى الأجيال المختلفة.

– يشير القرآن إلى أن المعرفة معرفة رسالية وليست معرفة خرافية ودجلية، وأن المتعلم محاسب على ما يسمع وما يرى وما يعرف، وهو مسؤول مسؤولية كاملة أمام الله.(عماد عطية،٢٠٠٤م،ص١١٣). قال تعالى:﴿وَيَرَى

الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾(سبأ،٦). وقوله تعالى:﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾(الإسراء،٣٦).

ج- تطبيقات الأساس المعرفي من القرآن الكريم

واستناداً لتلك المبادئ المعرفية المستقاة من القرآن الكريم يُؤسسُ نموذجٌ واضحٌ للأساس المعرفي في القرآن الكريم. فهو يتكوَّن من تنظيمات معرفية تشكِّل المبادئ الأساسية والحقائق والمفاهيم. فبالنظر إلى تلك المبادئ يتضح أن القرآن الكريم قد ألمح إلى جملة من المبادئ المعرفية الأساسية، المتمثلة في وجود إنسان ألهمه الله الخير والشر، ومعرفة فطرية، ومكتسبة، ومناهج للبحث والعلم ؛كالوحي والعقل والحس. ومما يؤصل هذا الأساس المعرفي ما ذكره النقيب والميمان بقولهما: "في غيبة الدين استطاع العقل الغربي طوال القرون الأخيرة – يقصد التاسع عشر والعشرين – أن يبلور لنفسه فلسفات حاكمة للبحث في العلوم الاجتماعية...، ولكن أكد البعض – يقصدان الباحثين المسلمين المعاصرين – على أن تلك الفلسفات(Paradigms) لا تكفي واحدة منها لدراسة العلوم الاجتماعية بحكم محدوديتها المعرفية، وانه من الأفضل أن تتعاون تلك الفلسفات في دراسة الظواهر الإنسانية والاجتماعية... وان المنهجية الإسلامية المقترحة هي القادرة على إحداث هذا التعاون والتكامل بل وتجاوز تلك المنهجيات الأحادية النظرة إلى الكون والإنسان والأخلاق والمعرفة والمجتمع إلى منهجية إسلامية مغايرة ذات نظرة شمولية تجمع بين دقة العلم وهداية الوحي"[١].

[١] عبد الرحمن النقيب وآخرين. تأصيل المفاهيم التربوية ضرورة أولية للإصلاح التربوي، ط١، دار النشر للجامعات، القاهرة مصر، ٢٠٠٢م، ص٢٥-٢٦.

كما أشار القرآن إلى بعض الحقائق العلمية التي لا ينكرها أحد، ومنها إشارته إلى عدم إدراك الشمس للقمر، ولا سبق الليل للنهار، وغير ذلك من الحقائق. وكذلك الإشارة إلى بعض المفاهيم مثل مفهوم العلم، قال تعالى:﴿ لَّكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاَةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أُوْلَـئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْراً عَظِيماً﴾(النساء،١٦٢).ومفهوم الذرَّة. قال تعالى:﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَلا أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرُ إِلاّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾(سبأ،٣). ومفهوم الحق، قال تعالى:﴿الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾(البقرة،١٤٧) ومفهوم العدل، قال تعالى:﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾(الحجرات،٩). وغيرها من المفاهيم. وحتى يكتمل النموذج نقول:يشير القرآن الكريم لوجود إنسان مُلْهم، تؤثر عليه أدوات معرفية غيبية كالوحي، وأدوات معرفية شاهدة كالعقل، يتحصل بها على معارف بالضرورة أن تكون حقائق ومفاهيم رسالية. وبناءً على ذلك قام الباحث بتصميم النموذج أدناه:

شكل رقم(٤) نموذج تطبيق الأساس المعرفيّ المستمد من القرآن الكريم

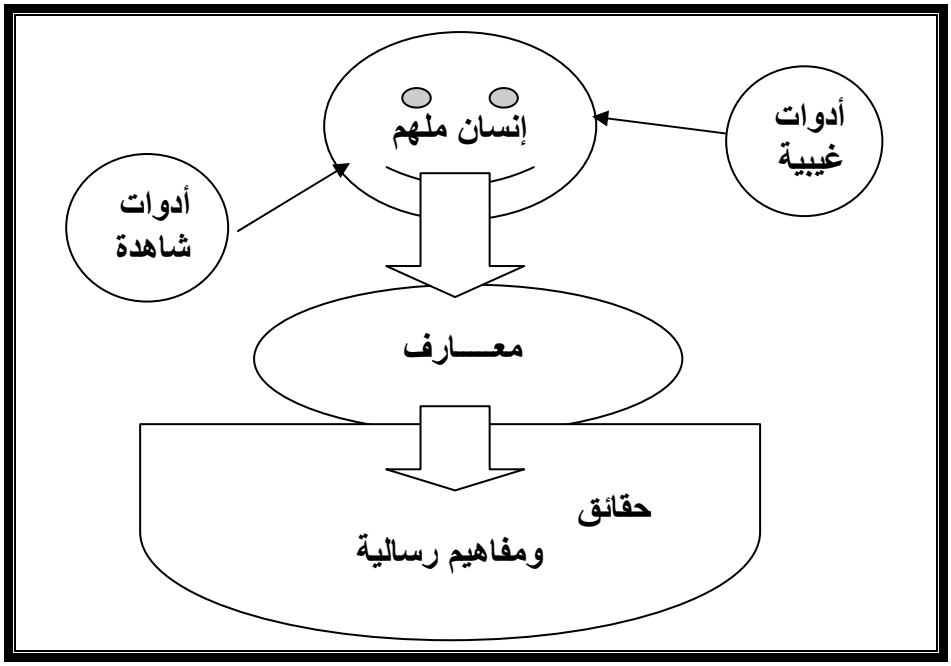

خاتمـــة

تعتبر التراكمات العلمية التاريخية من المصادر العلمية التي يرجـــع إليها الباحثون للتوثيق من فروض بحوثهم وأسئلتها في إطارها النظري، بل إن تلك التراكمات قد تعبر عن وجهات نظر ومنطلقـــات فكريـــة وعقديـــة مختلفة، وليس ببعيد ما نقلناه عن وجهة نظر بعض العلماء من الأمم السابقة كأفلاطون الذي بنا منهجا لتربية أفراد جمهوريته الفاضلة، وأرسطو الـــذي ركز على المواد التربوية والنفسية العامة وبعض المهارات كالقراءة والكتابة والتمارين الرياضية والموسيقى والرسم. وبعض التربويين المسلمين أمثـــال الغزالي(١٠٥٨م-١١١١م) وابن خلدون(١٣٣٢م-١٤٠٦م)، إلى ظهور علم المناهج الحديث لدى(فرانكلين بوبيت) عام(١٩١٨م) لوضعه لكتاب(المنهج). وكذلك الذين جاءوا من بعده كمحاولة(تشارترز) عـــام(١٩٢٣م) و(تـــايلر) عام(١٩٤٩م) و(هيلدا تابا) عام(١٩٦٣م). فبالرغم من تلك المحاولات ونسبة لما مرت به الأمة الإسلامية من فترات الاحتلال، فانه من الضروري إعادة النظر في مباحث علم المناهج باعتباره علما فلسفيا لإعادتـــه إلـــى النســـق الإسلامي وتأصيله وفق المنظور القرآني.

نتائج البحث:

بعد النظر في المصادر العلمية والمظان التي تفيد في استقصاء مادة البحث استطاع الباحث الإجابة عن أسئلة البحث المثبتة في المقدمـــة حيـــث توصل إلى النتائج التالية:-

١- توصّـــل الباحـــث إلـــى إشـــارات وملامـــح لمرتكـــزات الأســـاس العقدي(الفلسفيّ) للمنهج الدراسيّ وتطبيقاته من منظور القرآن الكريم.

٢- إن القرآن يحمل جملةً من المبادئ التي تشـكِّل الأسـاس الاجتمـاعي للمنهج، مما مكن الباحث من إيجاد نموذج تطبيقات اجتماعية تفيد في توجيه هذا الجانب.

٣- لقد كانت الإشارات والمبادئ المستقاة من القرآن الكريم كافية لتأصـيل الأساس النفسي للمنهج وتطبيقاته.

٤- المعرفة في القرآن الكريم معرفة رسالية وليست معرفـة مـن أجـل المعرفة ولا خرافية، فهي تستند إلى مبادئ ذات أدوات علمية غيبية كالوحي وأدوات شاهدة كالعقل. ومن ثم فهي ضرورية للتأصيل المفهومي للأسـاس المعرفي للمنهج وتطبيقاته.

توصيات البحث:

١- يوصي الباحث خبراء المناهج للأخذ بالمبادئ المستقاة من القرآن الكريم لتأصيل أسس بناء المنهج وتطبيقاتها.

٢- يوصي الباحث بالعمل على دمج المبادئ المستقاة من القرآن الكريم في المقررات النظرية لمادة أسس المناهج وتنظيماتها في الجامعات والمؤسسات التربوية المضطلعة بتدريس إعداد المعلمين.

مقترحات البحث:

يقترح الباحث التالي:-

١- توجيه طلبة الدراسات العليا للبحث في باب تأصيل المناهج من منظور القرآن الكريم.

٢- تأسيس دائرة أو مركز لتأصيل المناهج الدراسية بالجامعات.

المصادر والمراجع

أولا: المصادر:

أ- القرآن الكريم.

ب- التفاسير:

١. أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج٩، الناشر دار إحياء التراث العربي، بيروت.د.ت.

٢. الشوكاني، محمد بن علي، (ت:١٢٥٥هـ)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تحقيق:أبو حفص سيد بن إبراهيم بن صادق بن عمران، ج٥، دار الحديث، القاهرة، ط١٩٩٣م.

٣. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق:عبد الرزاق المهدي، ج١٢، ط١٩٩٧م.

٤. النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود،(ت:٧١٠هـ)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تحقيق:يوسف علي بديوي ومحي الدين ديب مستو، ج٢، دار ابن كثير، بيروت، ط١٩٩٨م.

ثانياً المراجع العامة:

١. حسن جعفر الخليفة، المنهج المدرسي المعاصر،مفهومه، مكوناته، تنظيماته، تقويمه وتطوره، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط٥، ٢٠٠٥م.

٢. حمدان، محمد زياد، المنهج المعاصر عاصره ومصادره وعمليات بنائه، دار التربية الحديثة، ١٩٨٨م.

٣. جودت أحمد سعادة، وعبد الله محمد إبراهيم، المنهج المدرسي الفعال، عمان، الأردن، ١٩٩١م.
٤. الدمرداش عبد المجيد سرحان، المناهج المعاصرة، مكتبة الفلاح، الكويت، ط٣، ١٩٨١م.
٥. العالم، عثمان محمد حامد، منهج الإسلام في التربية، رؤية في المفاهيم والتطبيقات، كتاب منهجي، ٢٠٠٧م.
٦. عدس، عبد الرحمن، وآخرون، البحث العلمي، مفهومه، أدواته، وأساليبه، دار أسامة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ١٤١٦هـ.
٧. عماد محمد محمد عطية، التربية الإسلامية، مصادرها وتطبيقاتها، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، ٢٠٠٤م.
٨. ماجد عرسان الكيلاني، فلسفة التربية الإسلامية دراسة مقارنة، دار المنارة، جدة، ط١، ١٩٨٧م.
٩. محمد صالح جان، أسس المناهج وعناصرها وتنظيماتها من منظور إسلامي، مكتبة الملك فهد الوطنية، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٦م.
١٠. مصطفى رجب، الإعجاز التربوي في القرآن الكريم، عالم الكتب الحديث، عمان، الأردن، ط١، ٢٠٠٦م.
١١. المفتي، محمد أمين، المنهج أسسه، بناؤه، تنظيمه، تقويه، تطوره، القاهرة، كلية التربية، عين شمس، د.ت.
١٢. النقيب، عبد الرحمن وآخر، تأصيل المفاهيم التربوية ضرورة أولية للإصلاح التربوي، دار النشر للجامعات، القاهرة، مصر،ط١، ٢٠٠٢م.